

أنقرة وواشنطن وبينهما الرياض



محمد صالح المسفر

ما حاقد بالدولة السعودية هذا الشهر من إعصار سياسي وجنائي يكاد يحتشد تحت الدولة السعودية ويفتتها إلى جزيئات يصعب إعادة تركيبها أو ترقيعها كما يحلو للبعض قوله.

في إيماني باهـ، ذلك الإعمار والليالي حالكة السواد التي حلـت بالحكم في الرياض كان نتيجة لدعوة مظلومين تزدحم بهم سجون الرياض والمدن السعودية الأخرى من علماء الدين والكتاب وأصحاب الرأي وصفوة المجتمع السعودي من رجال الأعمال، وكذلك نخبة مـُنعوا من السفر لآجال طويلة.

جاء مقتل الصحفي المرموق جمال خاشقجي في داخل القنصلية السعودية في تركيا والتمثيل بحثـمانـه في مطلع شهر أكتوبر الجاري لم يكن إلا بأمر من أحد أركان هرم السلطة العليا في الرياض، وهنا وقعت الواقعـة ولا سبيل لتفادي آثارـها إلا بالإطاحة برؤوس كبيرة من أجل بقاء الدولة.

* * *

خرج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على الملاـء عبر شاشـات التلفـزة العالمية، وكان الخـلق يتـوقعـون مشاهـد لجـثمان الشـهـيد خـاشـقـجي مـُقطـعا إـربـا إـربـا، أو على الأـقـل جـسـد بلا رـأس ولا كـفين، كان الخـلق يتـوقعـون من الرئيس أردوغان أن يعرض على الناس جميعـا تسـجيـلات صـوتـية لـفـرـيقـ الجـريـمة مع مرـكـزـ صـنـاعـةـ القرـارـ فيـ الـرـياـضـ وـعـواـصـمـ خـلـيجـيـةـ وـعـرـبـيـةـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ.

كان الخـلق يتـوقعـون الكـثيرـ عن ما حـدـثـ لـجـمالـ خـاشـقـجيـ فيـ قـنـصـلـيـةـ بلـادـهـ فيـ إـسـطـنـبـولـ، لكنـ الرئيسـ التركـيـ أرـدوـغانـ ذـكرـ فيـ خطـابـهـ موـافـقـ سيـاسـيـةـ أـشـادـ فـيـهاـ بـالـمـلـكـ سـلـمـانـ وـتـجـاهـلـ ذـكرـ وـلـيـ عـهـدـ الـأـمـيرـ محمدـ بنـ

سلمان، وأصدر اتهاماً مبطناً لقيادات علياً في هرم العائلة الحاكمة دون تسميتها. وطالب بتسليم المتهمين للسلطات التركية لمحاكمتهم في مسرح الجريمة الشناء، وطالب بتحقيق دولي نزيه بعيداً عن أطراف مرتكبي الجريمة، ويعني ذلك تدويل مقتل خاشقجي ليكون العالم شاهداً على ما فعل بعض أركان الدولة السعودية ويكون القرار عالمياً ضد مملكة ابن سعود.

لقد أبقى الرئيس التركي كل (الكرؤت) بيده يلعب بها كيف وما شاء ومتى ما شاء، سلم معلومات للإدارة الأمريكية عن سير الأحداث لمقتل خاشقجي وشخص الجريمة، وراح المجتمع الدولي متضامناً مع مطالب الرئيس التركي من الدولة السعودية.

وعليها أن تجبر على التساؤلات التركية التي أعلنتها أردوغان، أن تركيا تسعى لتحقيق مصالحها مع المجتمع الدولي، بما في ذلك مع السعودية، لكن لن يكون ذلك على حساب سيادة وكيريات الجمهورية التركية.

يعتبر البعض على استقبال الرئيس أردوغان يوم الأربعاء مكالمة هاتفية من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان المتهم بالتأمر على الاقتصاد التركي ومحاولة الانقلاب ضد حكومة الرئيس رجب طيب أردوغان، وأخيراً الإقدام أو الإشراف أو التوجيه بتصفية الصحفي جمال خاشقجي على أراضي الجمهورية التركية. لكن الرئيس التركي يتعامل مع الآخرين كرئيس دولة لا كخصم، خلافه مع ألمانيا بلغ ذروته، وكذلك مع روسيا والإدارة الأمريكية، ولكنه لم يقطع الصلة بأحد، وفي شأن السعودية ترك الأمر للقضاء والنائب العام وأجهزة الأمن للتحقيق في نهاية خاشقجي.

* * *

الرئيس الأمريكي دونالد ترامب شكلت له مسألة وقتل الصحفي جمال خاشقجي قلق، فهو على مقربة من موعد الانتخابات التكميلية البرلمانية في الرابع الأول من شهر نوفمبر القادم.

وعليه ضغوط من الكونغرس والرأي العام؛ لكي يتخذ إجراءات عقابية على النظام السياسي في الرياض؛ لما فعلوه مع الصحفي جمال خاشقجي كاتب جريدة واشنطن بوست، بينما يقول إنه لا يمكن أن يضحي بالعلاقة مع السعودية التي أصبحت الممول للاقتصاد الأمريكي بما يزيد عن 500 مليار دولار والحبل على الجرار في أقل من سنتين، وأن السعودية قدمت مساعدات هامة لإسرائيل، لكنه في الوقت نفسه قال «لقد خان السعوديون ثقتي وجعلوني أظهر بمظهر سين».

وقال أيضاً إن الحكومة السعودية حاولت التستر على قتل خاشقجي، وهي «أسواء عملية تستر على الإطلاق»، والحق أن مقتل خاشقجي ليس أمراً هاماً بالنسبة للرئيس ترامب، وإنما المهم هو المزيد من ابتزاز الدولة السعودية لدفع أموال طائلة، مستغلًا هذه العملية الشنيعة.

وفي تقدير الكاتب أن إدارة ترامب واللобبي الصهيوني سيحدثون من أي إجراءات جوهرية تتخذها إدارة ترامب ضد الدولة السعودية، ولكنهم سيتخذون جرعة من الإجراءات ضد أفراد غير مؤثرين في العملية السياسية السعودية، وذلك لإسكات الرأي العالمي الأمريكي وامتصاص غضب الرأي العالمي.

الملك سلمان آل سعود، لا شك أنه في موقف لا يُحسد عليه، فهل يُقدِّم على عزل ولد عهده ابنه الأمير محمد وتعيين أحد إخوانه، والمرشح لذلك المنصب ابن الملك سلمان السفير المعتمد في واشنطن، لكن تحوم حوله الشبهات أيضاً في مأساة تصفية جمال خاشقجي. وأعتقد أن الأميركيان على اطلاع بذلك.

كل العمليات الجاريةاليوم في الرياض من إعادة تنظيم إدارة المخابرات والأجهزة الأمنية إلى اعتقال عدد من المتهمين وعزل بعض كبار الموظفين المتهمين بضلوعهم في هذه العملية التكراة عمليات غير مجدية ولا بد من إجراءات جوهرية تتعلق بإعادة هيكلة هرم السلطة السعودية.

لا جدال في أن الإدارة السعودية الراهنة أثبتت فشلها على كل الصعد داخلياً وخارجياً، فأصحاب الرأي والعقل والحكمة ورجال الفكر الديني الوسطي ودعاة الإصلاح كلهم في السجون، وكبار رجال الأعمال تم التطاول عليهم وعلى أملاكهم واعتقال بعضهم تحت ذريعة محاربة الفساد.

في المجال الخارجي، العلاقات مع الدول المؤثرة في السياسة الدولية علاقات مضطربة، والعداء للنظام السعودي في الخارج يتزايد، والابتزاز وسيلة تتصاعد ولو دفعت كل محتويات الصناديق السيادية والاستثمارات الخارجية والثروة الوطنية لاسترضاء الرأي العام الغربي، فلن يتحقق ذلك الاسترضاء بسهولة، بل ستزيد وسائل الابتزاز.

السؤال، كيف الخروج من المأزق الراهن للحفاظ على النظام الملكي القائم؟
الرأي عندي، يجب الانصياع لوصية الملك المؤسس عبدالعزيز رحمه الله، وهي أن المُلْكَ يتداوله أبناءه من بعده واحداً تلو الآخر، الانتقال من الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية، وتشكيل مجلس وزراء يكون مسؤولاً أمام الملك، والإعداد لمجلس شورى (برلمان) منتخب هو السلطة التشريعية ومجلس قضاء مستقل، الحفاظ على المال العام ولا يكون وسيلة لاسترضاء الدول الباغية علينا.

ليس عيباً ولا ضعفاً التضحية ببعض القيادات وإخراجها من السلطة؛ من أجلبقاء الدولة، وامتصاص الغض الشعبي والعالمي، ومن هنا يجري إطلاق سراح جميع المعتقلين أصحاب الرأي وقادة الفكر الديني الوسطي الإصلاحي، وإطلاق حرية الرأي وحق المشاركة السياسية.

◀ آخر القول:

تكمن قوة الدولة في قوة الجبهة الداخلية وتماسكها، والانسجام مع المحيط الجغرافي المجاور دون تعالٍ أو استكبارٍ أو بغيٍ. وقوة الجبهة الداخلية تكون إذا ساد العدل وحررَ مَ الظلمُ والاستبدادُ، وأشرَكَ المواطن في مسيرة الحياة السياسية والاقتصادية. والأمر يومئذ عن وجل.

* د. محمد صالح المسفر أستاذ العلوم السياسية بجامعة قطر

